ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الثاني - إبريل ٢٠١٩

الفهرس

تقديم	٣
سجلماسة... ١٣٠٠ عام على تأسيس أول حاضرة إسلامية بالمغرب الأقصى	٤
مدينة زبيد اليمنية وتحصيناتها	١٦
البيوت الدمشقية... كنوز معمارية فنية وأسرار تاريخية	٣٠
خان أسعد باشا العظم في مدينة دمشق	٥٠
زينة الرأس للمرأة التونسية... تراث ثقافي وحضاري	٦٤
سلامات من يافا وحيفا والناصرة والقدس الشريف	٨٨
السنع وأصوله... الأقوال الشعبية المتداولة في المناسبات الاجتماعية في دول الخليج العربي	٩٨
تاريخ غزة في نهاية العصر العثماني... قراءة من خلال شواهد القبور	١١٤
ملحمة السيرة الهلالية	١٢٨
إطلالة على البن اليمني	١٣٠
قراءة لوثيقة نادرة تقنن بيع الخيل في عهد الملك عبد العزيز	١٣٤
هرابات المياه النبطية في سيناء	١٤٢
ملف خاص: ما قبل التاريخ في الوطن العربي	
- آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة	١٥٠
- الفن الصخري الموريتاني	١٦٢
- الملامح الثقافية لما قبل التاريخ في اليمن	١٧٤
- تاسيلي... تراث عربي مجهول	١٧٨

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب
khaled.azab@bibalex.org

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد
susan.abed@bibalex.org

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، إبريل ٢٠١٩

طُبعت برعاية
OFID
THE OPEC FUND FOR INTERNATIONAL DEVELOPMENT
Uniting against Poverty

ملف خاص

آثار ما قبل التاريخ في العالم العربي والإرهاصات الأولى للحضارة

بقلم: أيمن منصور

فلسطين قديمًا.

العالم العربي الذي في وسعه أن يفخر ويتباهى بهذا القدر الكبير من الآثار والبقايا الأثرية من شتى الأنواع؛ تأخر ظهور اهتمام علماء ما قبل التاريخ به، واحتاج هذا الاهتمام إلى وقت طويل حتى يكشف عن نفسه. ولا ريب أن الثروة شديدة التنوع التي يزخر بها تاريخ المنطقة العربية قد بلغت حدًّا بدا معه لفترة طويلة أنه لا يجدي نفعًا أن نبحث لهذا التاريخ عن إرهاصات، بل وصل الأمر أحيانًا إلى اعتبار هذا المنحى بمثابة انتهاك للمحرمات. وذلك حتى بدأت البعثات الأثرية الأجنبية تتوافد على المنطقة بحثًا في البداية عن الكنوز المدفونة تحت الرمال، ثم أخذت تلك البعثات بعد ذلك الشكل العلمي المنظم، والذي انتهج نهجًا تاريخيًّا مرتبًا. وكان من جراء ذلك بداية الاهتمام بآثار العصور السحيقة التي مرت على المنطقة، والتي تعرف اصطلاحًا باسم عصور ما قبل التاريخ. وهنا كانت بداية نشأة علم آثار ما قبل التاريخ في المنطقة العربية، وهو العلم الذي يهتم بدراسة حياة الإنسان ومتعلقاتها في الدهور البعيدة التي سبقت معرفته للكتابة، وهي الفترة التي يطلق عليها عصور ما قبل التاريخ أو العصور الحجرية؛ وذلك لأن إنسان هذه المرحلة صنع كل أدواته من الحجر قبل اكتشافه للمعادن والنار، ولذلك صنف العلماء حضارات عصور ما قبل التاريخ على أساس نوع المادة التي استُخدمت في صناعة الآلات الحجرية، وأحيانًا على أساس الطريقة التي اتُّبعت في صناعة تلك الآلات. واتفق معظم العلماء على تقسيمات وتسميات تبدأ من الأقدم إلى الأحدث:

١- حضارة العصر الحجري القديم؛ وتقدر بداياتها بنحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد، ويعتقد الباحثون أن هذا العصر يشمل نحو ٩٩٪ من تاريخ حياة الإنسان على الأرض منذ أن ظهرت الأدوات التي صنعها الإنسان.

أما عصور ما قبل التاريخ الأخرى، وكل عصور التاريخ حتى زمننا الحاضر؛ فتشمل الـ ١٪ الباقي. وقسم العلماء هذه الحضارة إلى ثلاثة أدوار، يتميز كلٌ منها بطريقة معالجة المادة الحجرية وأنواع الأحجار وتشظيتها وتهذيبها واتخاذها آلات تستخدم في مختلف المآرب من فأس يدوية إلى رأس ورمح إلى سكين، وما إلى ذلك من آلات أخرى مصنوعة من عظام الحيوان وقرونه مثل الحِراب المسننة ورءوس السهام.

٢- حضارة العصر الحجري الوسيط؛ ويؤرخ هذا العصر بنحو ٧٥٠٠ قبل الميلاد، وحضارة هذا العصر ظهرت في بعض الأقطار ولم تظهر في البعض الآخر، وتميزت بصناعة الأدوات صغيرة الحجم «القزمية»، وبوجود الكلاب المستأنسة التي اكتشفت عظامها للمرة الأولى في مواقع هذا العصر.

٣- حضارة العصر الحجري الحديث؛ ويؤرخ هذا العصر بنحو ٥٥٠٠ إلى ٤٥٠٠ قبل الميلاد، ويتميز بتطور عظيم في الاختراع والنظام الاجتماعي، وهناك مظاهر عدة لهذه النهضة الحضارية، ومنها معرفة الإنسان بالزراعة واستئناسه للحيوان ومعرفته بصناعة الفخار، والتطور الرائع في صناعة الأدوات الحجرية، وبداية معرفة الإنسان بصناعة السلال من أعواد النباتات، وكذلك نسج الكتان، إلى اهتمام الإنسان بمدافن الموتى وقرابينهم، وانتقاله من حياة الكهوف إلى بناء مسكن بسيط له، واهتمامه ببعض مسائل الترفيه؛ مثل أدوات الزينة ومحاولة صنع أوانٍ حجرية صغيرة.

٤- العصور التاريخية؛ ويميز هذه الحضارة معرفة الإنسان بالمعادن، وخاصة معدن النحاس، وهو أول المعادن التي استطاع الإنسان أن يتعامل معها، واستخدمها في صناعة أدواته جنبًا إلى جنب مع أدواته الحجرية. وبعد معرفة الإنسان استخراج النحاس واستخدامه في أغراض حياته، كانت الانطلاقة الكبرى - بعد معرفة الزراعة والاستقرار - نحو التطور الحضاري الذي امتد حتى عصرنا الحالي.

وقد تمثلت مظاهر تلك الحضارات في الكثير من المواقع الأثرية في العالم؛ حيث لعبت البيئة الطبيعية للمنطقة العربية دورًا هامًّا في إعطائها وضعًا متميزًا خلال عصور ما قبل التاريخ والفترات اللاحقة، ومن أهم مواقع ما قبل التاريخ في العالم العربي:

الإمارات... سبعة آلاف عام

أظهرت التنقيبات الأثرية التي جرت خلال الأربعين سنة الأخيرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي بدأت على يد البعثة العراقية خلال عامي ١٩٧٢م و١٩٧٣م؛ كمًّا هائلاً من المعلومات لم تكن معروفة سابقًا. وقد ازداد اهتمام الدوائر المعنية بالآثار بمسألة التنقيب في السنوات العشر الأخيرة من خلال بعثات محلية وأجنبية، وكشفت هذه البعثات عن مكتشفات على جانب كبير من الأهمية، عكست لنا التجمعات التي عاشت في هذه المنطقة، فوضحت المكتشفات أنه كان ثمة اتصال مع إيران وحضاراتها، ومنطقة بلوشستان في باكستان الحالية ومدى تأثيرها على ضفتي الخليج العربي، وبدا واضحًا من المكتشفات السابقة أن الفترة التي تم التعرف عليها في الإمارات هي فترة العصر الحجري الحديث، والتي تؤرخ بنحو ٥,٠٠٠ إلى ٤,٠٠٠ قبل الميلاد؛ حيث عُثر في المواقع السفلى من تلال جبل حفيت في المناطق المجاورة لمدينة العين، على مجموعات من الأدوات الحجرية الصوانية على سطح أكوام من الرمال المتماسكة على بعد عدة مئات من الأمتار من أقدام التلال، ووُجد نحو عشر منها في الجنوب من وادي العين. ويغلب على هذه اللقى لون بني غامق، ولا يمكن تحديد تاريخها بدقة، والغالب أنها من عصر متأخر كالعصر الحجري الحديث. وقد تم الكشف كذلك عن موقع لفخاريات العبيد في إمارة أم القيوين؛ حيث قام كلٌّ من ر. بوشارلا وأي هيرنيك بالكشف عن تل قوقعي صغير في إمارة أم القيوين، به أحجار مصقولة وفخار ينتمي إلى نمط صناعة العبيد العائدين إلى بلاد ما بين النهرين. وقد أسفرت عيِّنة من القواقع عن استقرار بقايا السكنى البشرية مباشرة على التل الرملي؛ عن تقدير يَردُّ عمرها إلى نحو ٣٢٨٠ عامًا قبل الميلاد. ويتألف ما تم اكتشافه من نحو مائة من الرقائق ومتن شبيه بالقرص وأداة مستدقة صغيرة مصقولة مشحوذة، وأداتين مستدقتين مغزليتي الشكل لهما جزء مشحوذ مزدوج الوجه وخرزة محارية. وعلى أساس هذه المعثورات تم تحديد عمر الموقع بصفة مؤقتة بأنه يعود إلى أواخر الألف الخامس والألف الرابع قبل الميلاد.

ومن أهم مكتشفات العصر الحجري الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة، النقوش الصخرية المكتشفة على سفوح الجبال، والمنقوشة على بعض الصخور على الطرق الرئيسة القديمة، وبالذات قرب الوديان أو العيون أو شواطئ البحار، وبالتحديد عُثر على هذه النقوش في المناطق الجبلية من رأس الخيمة شمالاً، وتستمر مع سلسلة جبال عمان المسماة خطم ملاحة جنوبًا. وهذه النقوش عبارة عن نقوش لأشكال بشرية منفردة بهيئات مختلفة، وحيوانات البيئة مثل الماعز والثور والغزال والأسماك، والظواهر الكونية مثل الشمس والقمر والنجوم. والدراسات التي تمت على هذه النقوش أوضحت أن بعضًا منها يعود إلى فترة الألف الثالث قبل الميلاد. وعند مقارنة النقوش في هذه المواقع ونتائج تقنيات الموقع نفسه، يتضح أن هذه النقوش أقدم من غيرها من النقوش المدروسة، وربما تعود إلى نفس فترة الموقع، وهو من العصر الحجري الحديث الذي يؤرخ بنحو ٥,٠٠٠ إلى ٤,٠٠٠ قبل الميلاد.

موقع أم القيوين بالإمارات.

الدور الأثرية بأم القيوين.

المملكة العربية السعودية

لا شك أن قوة الظروف الطبيعية في شبه الجزيرة العربية قللت من محاولات البعثات الاستكشافية بها، مما جعل معلوماتنا قليلة عن تلك المناطق، وإن كان الاتجاه الحديث اليوم هو المحاولات العديدة في استكشاف غموض حضارة هذه المناطق. فرغم قلة ما توصل إليه العلماء فإن ثمة شواهد تدل على أن إقليم شبه الجزيرة العربية كان ينعم بالظروف المناخية الملائمة لسكنى الإنسان، فضلًا عن أنه عُثر على آثار تشير إلى أنه هناك نهر واسع عند المنطقة المسماة بالربع الخالي وعند ما يسمى بمنخفض «أبو بحر». ومعظم ما نعرفه عن آثار المملكة العربية السعودية في العصور الحجرية وصلنا من أعمال المسح والتنقيبات الأثرية التي جرت في الربع الأخير من القرن العشرين، وأهمها مواقع العصر الحجري القديم، والتي تم الكشف عن معظمها أثناء المسح الأثري الذي تم في عام ١٩٩٧م، وقد وجدت بمنطقتي حائل وسكاكا. والآلات المكتشَفة تعكس وفرة الموجودات التي التقطت أثناء المسح، وقد رُصد واحد وثلاثون موقعًا يعود تاريخها إلى العصر الحجري القديم، ورُصد كذلك أثناء المسح في المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية الغربية ٢٦٧ موقعًا، ٦٤ منها يعود إلى العصر الحجري القديم. وأغلب أدوات هذه المواقع المتعددة فئوس يدوية وسواطير وأدوات ثلاثية السطوح ذات حدين ومقاشط ذات حد جانبي وأدوات للضرم، وقليل من آلات النقش والتثقيب والسكاكين. وجميع القطع التقطت من على سطح الأرض ولم يكتشف أي منها عبر التنقيب، ولذلك فإن معرفة تاريخ المواقع استندت على طريقة أو نمط صناعة الآلات الحجرية.

وظهرت كذلك في المملكة العربية السعودية مظاهر العصر الحجري الحديث؛ حيث تم العثور حول وإلى الجنوب من الخماسين وبالقرب من السليل، على مجموعة من المواقع، فيها مواد تشبه إلى حد كبير مجموعات العصر الحجري الحديث. وتم العثور أثناء مسح المنطقة الوسطى على عدد كبير من المواقع التي تحتوي على آثار معمارية ما زالت بحالة جيدة، منها مبانٍ مصاحبة لمواقع العصر الحجري الحديث، ومنها ركامات ترابية وحجرية تقام فوق القبور، أما الآلات الحجرية فتميزت بالرءوس الحادة ورءوس السهام والتهذيب المرقق من الجهتين. واعتمد إنسان هذه المرحلة على الصيد وجمع الطعام، ولم يعرف الزراعة، ولكن بعد ذلك ظهر ملمح جديد من ملامح العصر الحجري الحديث المتأخر، وهو الانتقال إلى الرعي والزراعة مع الاحتفاظ بالصيد كمصدر ثانوي، ومن خصائصه رءوس السهام المعنقة.

منحوتات صخرية بالسعودية.

مائتا موقع في قطر

تعتبر قطر من الناحية الأثرية أهم مناطق الخليج العربي؛ إذ تتمثل فيها حضارات العصر الحجري من أقدم أدوارها، وقد ظهرت آثار تلك الحضارات بعد أن قامت بعثة دانماركية بالبحث عن المواقع القديمة، وقد تم رصد ٢٠٠ موقع تعود إلى عصور ما قبل التاريخ. وكانت هذه البعثة برئاسة كلٍّ من هـ. كابل وآخرين، وجزء من المواقع التي قاموا بالكشف عنها يوجد في المنطقة الممتدة من أم الماء شمالاً إلى سلوى جنوبًا قرب الحدود مع المملكة العربية السعودية. ولسنوات جمع هـ. كابل أعدادًا كبيرة من الأدوات الحجرية من العديد من المواقع، شملت ٣٠,٠٠٠ قطعة تمثل ١٢٢ موقعًا. وتم تسجيل ودراسة كل هذه الأدوات بدقة بالغة، وأصدر هذا الباحث أطلسًا عن حضارات العصر الحجري في قطر عام ١٩٦٧م، أوضح فيه أنه اعتمد في تقسيمه للحضارات المختلفة في قطر على أنماط الأدوات الصوانية، مع الغياب التام للمواقع الأثرية التي يتوافر فيها التسلسل الطبقي. وقد قسم كابل مكتشفات ما قبل التاريخ في قطر إلى أربع مجموعات وفقًا للصناعات الحجرية، على النحو التالي:

- المرحلة الأولى: تنم عن طابع العصر الحجري القديم الذي شمل صناعات تمت بآلات ضخمة غير مصقولة تعتمد على مواد أولية.
- المرحلة الثانية أو حضارة الشقرة: تحمل طابع العصر الحجري الوسيط، وتتضمن تشظية نصالية وسهامًا ذات عنق وأدواتٍ نموذجية أخرى.
- المرحلة الثالثة أو حضارة الجرافة: تحمل طابع العصر الحجري الوسيط أيضًا، وهي بعد المرحلة السابقة بفترة، ولا توجد بها تشظية نصالية، لكن تتميز بكثرة المحكات المصنوعة من حجر الصوان المتنوع، ويلاحظ ظهور بعض السهام ذات العنق والأجنحة.
- المرحلة الرابعة أو حضارة رءوس الأسهم الرنانة: وتشهد هذه المرحلة اختفاء المكاشط وظهور عديد من السهام ذات العنق والأجنحة وقطع ورقية الشكل ذات وجهين. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر على أي دليل للمعادن أو أدوات نحاسية أو برونزية، كما أن الأدوات المصنوعة من الحديد نادرة للغاية.

لهذا، فإن تصنيف العصرين البرونزي والحديدي يعتمد مؤقتًا على التقسيمات العامة للفترات التاريخية للجزيرة العربية، وتعوزنا الأدلة لهذين العصرين من دولة قطر. ومن أشهر وأهم مواقع ما قبل التاريخ في قطر: دخان – بيرأ بروق – رأس عوينات علي – رأس أبروق – الوسيل – عسيلة – شقرة رأس عوينات علي – الجبيجب – الخور – بير زكريت.

فلسطين أقدم سكن للإنسان

تعد منطقة فلسطين وبحكم موقعها الجغرافي، من أهم وأغنى المناطق في العالم العربي بالآثار والمخلفات البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ والفترات اللاحقة لها. وقد تأكد بالدليل الأثري أن أقدم الأنواع البشرية قد سكن هذه المنطقة؛ حيث عثر على أدوات مع جمجمتين وسن؛ واحدة منهما تعود للإنسان في تل العبيدية بالقرب من الساحل الجنوبي لبحيرة طبرية. وهذه الآلات تشبه الآلات البدائية التي وجدت في مواقع تسمى بالقرد البشري في إفريقيا، ووجدت كذلك آلات من العصر الحجري القديم في كهف الطابون بجبل الكرمل، وأم قطفة في شمال غرب البحر الميت. وعثر كذلك على بقايا عظام إنسان

طابون

نياندرتال في مغارة الطابون ومغارة السخدل بجبل الكرمل، ومعها أدوات حجرية تعود إلى العصر الحجري القديم، وتؤرخ بنحو ١٠٠,٠٠٠ عام قبل الميلاد.

وبعد انتهاء البلايستوسين وتلاشي حضارات العصر الحجري القديم بعد ذوبان النطاق الجليدي الأخير؛ بدأ عصر جديد هو العصر الحجري الوسيط الذي يفصل بين عصر الصيد وجمع الطعام وبين عصر الزراعة وتربية الحيوان. وقد ظهرت آثار ذلك العصر في وادي النطوف في فلسطين، والذي تنسب إليه حضارة من أشهر حضارات الشرق الأدنى في تلك المرحلة، وهي الحضارة النطوفية. وقد سكن إنسان هذه الحضارة الكهوف أو على مصاطب أمام هذه الكهوف في جبال فلسطين والكرمل. وقد اعتمد النطوفي على الصيد كمصدر للغذاء؛ حيث كُشف عن شعوص صيد الأسماك، وكذلك عثر على العديد من الأدوات الحجرية مثل السكاكين والأزاميل والمقاشط ورءوس السهام، واستخدم كذلك عظام الحيوان في صناعة أدواته. وفي تلك المرحلة، بدأت معالم الانتقال من المجتمع الجامع للطعام إلى المجتمع المنتج له. وقد عثر على عدد من الأدلة الأثرية المعبرة عن الفكر الديني في تلك الحضارة مثل بعض المقابل الفردية والجماعية التي تؤكد اعتقاد إنسان تلك الحضارة بالحياة الأخرى. وفي أريحا انتقل الفلسطيني القديم من العصر الوسيط إلى العصر الحجري الحديث حيث حياة الاستقرار والزراعة وصناعة الفخار، والانتقال من حياة الكهوف إلى السكن المبني داخل مستوطنة كبيرة يحيط بها سور كبير لحمايتها، وذلك في أريحا وأبي غدش والخيام وتل طور موسى.

سوريا ولبنان... آثار في كل مكان

لقد وفرت منطقتا سوريا ولبنان كلَّ مقومات عيش واستمرار إنسان ما قبل التاريخ، ولذا نجد آثار هذا الإنسان في كل مكان تقريبًا، وبخاصة في وديان الأنهار وعلى شواطئ البحيرات والبحار. وقد ضمت التكوينات الجيولوجية الكثير من آثار الإنسان الأول وبخاصة الأدوات الحجرية.

وأقدم آثار الإنسان في بلاد الشام تعود إلى العصر الحجري القديم، والذي بدأ العيش فيها منذ نحو مليون سنة واستمر نحو ١٠٠,٠٠٠ سنة، فقد عثر في منطقة ست مرخو على حدود نهر الكبير الشمالي في محافظة اللاذقية في سوريا، على أقدم مجموعة من الأدوات، هي فئوس وقواطع ومعاول وسواطير وشظايا ونوى.

وفي لبنان، وجدت أدوات وأسلحة من قطع الصوان بشكل خشن على هيئة فئوس يدوية أو مقاشط أو سواطير في كهف عدلون الواقع في منتصف الطريق بين صور وصيدا، وعثر كذلك على آثار هذا الإنسان في كهف أنطلياس وفي قصر عقيل.

وتشير الدلائل إلى حدوث تغيرات مناخية تلت فترة العصر الحجري القديم، فغابات البحر المتوسط تراجعت شمالًا، ولذلك هجرت عدة مستوطنات قديمة، وكذلك اتجه عدد من النطوفيين شمالًا إلى سوريا سعيًا وراء حيوانات الصيد؛ إذ عثر على مواقع نطوفية في منطقة البقاع مثل جبل السعدية، وفي مربيط على الضفة الشرقية من نهر الفرات إلى الشرق من مدينة حلب بنحو ٨٠ كيلو مترًا، كما عثر في مربيط على بقايا أكواخ طينية مستديرة الشكل، وآلات حجرية جميعها من الصوان، ومعظمها هندسية

البحرين

الشكل على هيئة الهلال والمعين والمثلث، ومنها مثاقب ومناجل ومقاشط ورءوس سهام وفئوس ومخارز.

وفي نهاية العصر الحجري الوسيط وبدايات العصر الحجري الحديث، انتقلت مراكز الحضارة من فلسطين إلى سوريا ولبنان؛ حيث كان للجفاف تأثير أقل، ففي الرماد بالقرب من قطنا كُشف عن آثار قرية زراعية وجد فيها فخار أحمر اللون، وفي بقراس على الضفة اليمنى لنهر الفرات وجدت آثار قرية فيها بيوت مسوَّرة مبنية بالطوب وبداخلها آلات حجرية كالرحى والمناجل وفخار مصقول وعظام للماعز والغنم المدجن، وفي لبنان ظهرت حضارة الجبيل المبكرة، وهي تمثل تطورًا ساحليًّا للمستوطنات من البطروق حتى صيدا، وكان هذا المستوطَن على عين ماء وشيدت بيوته بالبردي.

البحرين والكويت

إن أسبق دول الخليج في البحث الآثاري هي البحرين، فالبعثة الدانماركية عملت بها كأول منطقة من موقع باربار، والذي عثر به على فخار ملون يعود لفترة «جمدة نصر» والتي تؤرخ بنحو ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد.

وعثر كذلك في البحرين على بعض مواقع للعصر الحجري القديم، ويظهر من تطور بعض الآلات الحجرية في البحرين أن مستوطنات الصيادين في أواخر العصر الحجري القديم تحولت إلى نوع من الزراعة، في الأجزاء الساحلية الغربية من الجزيرة في العصر الحجري الحديث. وهذه الآلات عبارة عن قطع من حجر الصوان حادة وصغيرة وذات حافات مسننة كالمنشار، استخدمت على ما يبدو كمنجل للحصاد، ويلاحظ على بعضها لمعان يدل على استخدامها في قطع الحشائش، ووجدت بين الآلات قطع من الصوان على هيئة رءوس سهام؛ لأن الإنتاج الزراعي كان يدعمه صيد الحيوانات.

وفي نهاية الساحل الغربي للخليج تقع الكويت، وغالبية أرض الكويت منبسطة ذات سواحل رملية مثل دبدبة. وليس في الكويت أنهار جارية سوى مجرى المقطع الذي يصب في الخليج العربي في خور المعظة جنوب شرقي الكويت، ويضم رأس الخليج العربي جزرًا مثل فيلكا وبوبيان وأم المرادم. وقد ظهرت المكتشفات الأثرية في الكويت في جزيرة فيلكا، وبدأت عمليات الكشف الأثري فيها في عام ١٩٥٨م؛ حيث تم الكشف عن عدة مواقع لفترة العصور الحجرية، ولكنها لم تدرس كافية حتى الآن. وقد أظهرت المكتشفات وجود علاقة بين إنسان الكويت القديم وجيرانه في المناطق المحيطة به مثل البحرين والإمارات، بل وصل كذلك إلى إيران؛ حيث عثر على أوانٍ فخارية ذات مقابض مزدوجة وهي متشابهة لما عثر عليه في موقع سيالك في إيران.

ليبيا... ثراء غير محظوظ

تعد ليبيا من أكثر الدول العربية ثراء بآثار ما قبل التاريخ، ولكنها تكاد تكون أقلها حظًّا من البعثات والكشوف العلمية، وربما يرجع ذلك لظروفها المناخية، ولوجود أغلب مواقع تلك العصور البعيدة في قلب الصحراء، مما جعل من الصعوبة بمكان الوصول إليها. وعلى الرغم من ذلك، فقد قامت بعض البعثات الأثرية العلمية

بالكشف عن مواقع لعصور ما قبل التاريخ في ليبيا؛ حيث وجدت أدوات حجرية ممثِّلة لحضارة الحصى المشذب، وهي أقدم حضارات الإنسان بالقرب من أماكن المحاجر القديمة؛ حيث تم العثور على نماذج لها بالقرب من بئر الدوفاني شرق مدينة طرابلس، وفي منطقة توكرة شمال شرق بنغازي، وعند سفح الجبل الأخضر. ثم ظهرت بعد ذلك صناعات العصر الحجري القديم النموذجية، وذلك في الطبقة السفلى من كهف هواتيح، والذي يقع إلى الشرق من سوسة، كما تمثلت في آثار بئر الجرش في الصحراء الليبية بين جالو والكفرة، وفي بعض المواقع في رملة زلاف في فزان، وتمثلت هذه الصناعات في الفئوس اليدوية والمعاول ومدقات وكرات حجرية.

ومن الجماهيرية الليبية جاءت آثار من العصر الحجري الحديث من منطقتين رئيستين؛ هما وادي الآجال حيث تم التقاط مجموعة من رءوس السهام التي تُظهر تنوع الأشكال ومهارة الصانع، أما المنطقة الثانية فهي جبل الأكاكوس، ومكتشفاته عبارة عن شقف فخارية عليها محاولات للتزيين ونماذج من البلط الظرانية ورءوس سهام ذات أشكال متنوعة. ولا نستطيع الحديث عن ما قبل التاريخ في ليبيا دون ذكر نقوش ما قبل التاريخ في الصحراء الليبية؛ حيث تزخر الصحاري الليبية بمئات الآلاف من اللوحات الفنية، أغلبها نقوش غائرة على صفائح الصخر في الكهوف والملاجئ الجبلية. وتتركز الرسوم الملونة لفترات ما قبل التاريخ على المناطق الجنوبية من الجماهيرية، وتكثر هذه النقوش في وديان جنوب الحمادة الحمراء وفي المرتفعات الصخرية ما بين وادي الآجال ووادي البرجوج، كما توجد في مرتفعات أكاكوس في أقصى الجنوب الغربي. وإذا تمعنا في الموضوعات التي تمثلها هذه النقوش، وجدنا أغلبها يخص الحيوانات الاستوائية الكبيرة مثل الفيلة والزراف ووحيد القرن والتماسيح، ويمثل بعضها الآخر نقوشًا لأبقار ولأشكال إنسانية بشكل مجرد.

السودان... أقدم الهياكل البشرية في إفريقيا

تتفق الأبحاث الأثرية في أن السودان قد شهد العصور الحجرية بأنواعها المختلفة، ويؤكد ذلك المخلفات الحضارية الخاصة بتلك العصور، والتي عثر عليها في مناطق عديدة من السودان. وأولى تلك المخلفات أدوات حجرية تنتمي للعصر الحجري القديم، واكتشفت في المكان المعروف باسم خور أبو عنجة الذي يقع غرب النيل، وتلك الأدوات عبارة عن فئوس يدوية بدائية الصنع، وعثر على مثيلاتها في مكان آخر يسمى وادي سيرو، كما عثر عليها كذلك في المكان المعروف باسم وادي عوف، كذلك عثر على فئوس يدوية مصنوعة من الحصى في وادي حلفا بالقرب من أم درمان. وفي عام ١٩٦٥م، وعند جبل الصحابة إلى الشمال من مدينة حلفا؛ عثرت البعثة الأمريكية على خمسين هيكلًا عظميًّا تبين أن أعمارها تتراوح بين ١٢,٠٠٠ و٨,٠٠٠، أي أنها ترجع إلى العصر الحجري القديم، وهي أكبر مجموعة من الهياكل البشرية من نهاية زمن البلايستوسين يُعثر عليها في قارة إفريقيا على الإطلاق.

أما العصر الحجري الوسيط فيمثله في السودان موقع الخرطوم؛ حيث ظهرت به ملامح ذلك العصر. وقد صنع إنسان ذلك العصر في السودان ولأول مرة الأواني الفخارية بشكل غير مصقول، ولكنه زينها بالزخارف البسيطة، وصنع هذه الحضارة التي أخرجت للعالم أول أوانٍ فخارية بحضارة السودان القديم على الإطلاق، وربما كانت هي أقدم أوانٍ فخارية في إفريقيا، وهو من النوع المتأثر بالسلالات الزنجية.

أما بالنسبة للعصر الحجري الحديث، فقد كشفت عمليات الحفر والتنقيب في موقع الشهينات غربي شاطئ النيل عن بقايا أكواخ من العصر الحجري الحديث، وجدت فيها عظام الأغنام والماعز وأوانٍ فخارية سوداء اللون بزخارف ذات خطوط متعرجة، وهناك موقع آخر خاص بتلك الحضارة هو موقع شجدود جنوب شرق النقعة في منطقة البطانة. وينتمي إلى تلك الحقبة كثير من النقوش الصخرية التي عثر عليها مسجلة على صخور النوبة المصرية والسودانية. وجدير بالذكر أن كثيرًا من مظاهر حضارة العصر الحجري الحديث بالخرطوم كان لها نظير معاصر يتمثل في حضارة العصر الحجري الحديث بمنطقة الفيوم في مصر. ومن المواقع الهامة التي تنتمي إلى العصر الحجري بالسودان قاديرو وقيلي وزاكياب وجيلي.

شواهد أثرية واسعة في المغرب العربي

تعد منطقة المغرب العربي (المغرب وتونس والجزائر) من أقدم المناطق التي استوطنها الإنسان القديم، وقد أكد ذلك كثير من الشواهد الأثرية؛ حيث عُثر على آلات حجرية تعود لبدايات العصور الحجرية والتي يطلق عليها «الآلات الحصوية»؛ وهي عبارة عن فئوس بدائية الصنع قليلة التشخلية والتشنيب، وعُثر على نماذج من هذه الآلات في مواقع قفصة بجنوب تونس، وموقع سيدي منصور بمنطقة قفصة، وكذلك في موقع الحنش في الجزائر، وموقع قرب الدار البيضاء في المغرب، وفي موقع سيدي عبد الرحمن في المغرب أيضًا. وتؤرخ تلك الفترة بين ٥٠٠,٠٠٠ و٢٣,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. أما بالنسبة لمرحلة العصر الحجري القديم فقد عثر على مواقع متعددة خاصة به في جميع أقطار المغرب العربي. ويتميز هذا العصر بأدوات حجرية متقنة الصنع من حجر الكوارتزيت الرمادي والحجر الرملي الأخضر، وأدواته عبارة عن فئوس يدوية ثنائية الوجه ذات شكل كروي وأخرى ثلاثية الأوجه، بالإضافة إلى قطع شبه كروية. وبالنسبة للمغرب، يضاف إلى مجمل صناعات العصر الحجري القديم صناعة مغربية الطابع، وهي صناعات أطلق عليها الصناعات العاطرية؛ نسبة إلى بئر العاطر بتونس، وهي حضارة مغربية حميمة نبتت في المغرب ثم ما لبثت أن امتدت إلى مساحات بعيدة حتى وصلت إلى واحة الخارجة بمصر. وأدوات هذه الصناعات عبارة عن نصال مدببة ومكاشط وأدوات أحادية الوجه ذات ساق ونصال ورقية الشكل. والمعتقد أن إنسان هذه المرحلة قد استخدم مواد أخرى غير الحجر كالعظام والخشب والجلود.

وقد تلت تلك المرحلة فترة تطور فيها الإنسان صنعًا وابتكر أدوات أصغر حجمًا من الفترات السابقة، هذا إلى جانب تقدم الفن التعبيري في الرسم ونحت الأحجار وصنع التماثيل. ويطلق على هذه المرحلة في المغرب العربي اسم الحضارة القفصية؛ نسبة إلى منطقة قفصة بتونس، وأهم آلاتها الشفرات والأزاميل الجانبية والمقاشط ذات النهاية الحادة ونصال ذات متن مطروحة. وتنتشر هذه الصناعات في المناطق الداخلية من تونس والمناطق الشرقية من الجزائر. أما بالنسبة للعصر الحجري الحديث فقد اقتصر في بادئ الأمر في المغرب العربي على الرعي وتدجين الحيوانات إلى جانب بعض الإنتاج الزراعي المحدود، واستمر ذلك فترة طويلة من الزمن حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وبداية معرفة صناعة المعادن.

العراق... بيئة نموذجية في العصر الحجري

أظهرت الأبحاث الحديثة أن العراق كان من الأقاليم التي تميزت ببيئة طبيعية مزدهرة في عصورها القديمة؛ حيث ثبت أن المناطق العراقية القاحلة في العصور الحديثة كانت عامرة بالحياة النباتية والحيوانية، مما جعلها بيئة نموذجية لإنسان العصور الحجرية، وأكدت ذلك المكتشفات الأثرية الحديثة، وخاصة تلك التي تعود إلى العصر الحجري القديم؛ حيث عثر على آثار إنسان هذا العصر في عدة مواقع عراقية أهمها بردة بالكا، وهو موضع على بعد نحو ميل ونصف شمال شرق جمجال، وعُثر على أدوات حجرية ذات حدين وفئوس كمثرية الشكل وبعض نماذج الأدوات الحصوية، ومن المواقع الهامة كهف هزار هيرد، ويقع على بعد اثني عشر ميلًا جنوب السامانية، وكذلك كهف زرزي، وكهف شانيدر الذي يعد أكبر وأشهر الكهوف المكتشفة في شمال العراق، وكشف به عن أربع طبقات أثرية تمثل كل عصور ما قبل التاريخ في العراق وأهم مكتشفاته، وفي الطبقة الرابعة عُثر على هياكل عظمية بشرية من نوع إنسان نياندرتال، والذي يؤرخ بالفترة بين ٦٠,٠٠٠ و٤٥,٠٠٠ قبل الميلاد، وعُثر معه على أدوات حجرية عبارة عن مناقب ومدببات ومقاشط.

وقد تلت ذلك مرحلة حضارية أخرى تميزت بالأدوات صغيرة الحجم القزمية، وتمثلت تلك المرحلة في كهف زرزي في السامانية، تحول بعدها الإنسان العراقي إلى العصر الحجري الوسيط، والذي ظهر خلاله علامات انتقال الإنسان إلى مرحلة جمع الحبوب البرية وظهور البوادر الأولى لأعمال زراعية تجريبية محدودة مع محاولات أولية لاستئناس الحيوانات. وأشهر مواقع ذلك العصر زاوي شمي وكريم شهر وملفعات وكردي شاي، ومن أدوات تلك المواقع المجارش والهاونات والمدقات ومناجل مصنوعة من العظام ورحى حجرية. كما كشف داخل أحد المواقع عن بيوت محفورة في الأرض، وهي جدران مبنية بالحجارة وأرضيات

مبلطة بالحجارة والحصى. وظهرت أولى ملامح العصر الحجري الحديث في العراق في قرية جرمو في شمال العراق؛ حيث عُثر بها على أقدم نماذج الفخار العراقي، وهي أولى قرى العصر الحجري الحديث. وفي جرمو ظهر الدليل للمرة الأولى على وجود الزراعة في العراق، وخاصة زراعة القمح والشعير والعدس، وكذلك قاموا باستئناس كلٍّ من الماعز والكلب، وكانت الصناعة الحجرية تتكون بشكل أساسي من الصوان الذي أضيف له الزجاج البركاني الأوبسيديان المستورد من شرقي الأناضول؛ حيث صنع منه أدوات مثل الفئوس والرحى والمدقات والمجارش والسكاكين والمناجل والنصال المثبتة بواسطة القار إلى مقابض خشبية، بالإضافة إلى الأدوات الصغيرة القزمية ذات الأشكال الهندسية، وعُثر في جرمو على قلائد من خرز حجري وأساور وخواتم ودمى تمثل المعبودة الأم.

ومن المظاهر الهامة بقرية جرمو، بداية معرفة الإنسان العراقي القديم بناء بيته من اللبن – بعد سكناه الأكواخ البدائية – وبعض بيوت جرمو كانت ذات أساس من الحجر، وجدرانها مكسوة بطبقة من الطين الناعم، وكذلك كانت الأرضية.

ومن المواقع الهامة بالعراق الممثِّلة للعصر الحجري الحديث قرية حسونة، وهي ثاني أقدم قرية عراقية بعد جرمو ثم قرية الصوان وقرية مطاردة ونينوى. أما مرحلة العصر الحجري النحاسي فهي من أهم الحضارات التي شهدها العراق، وتتكون من أربعة فصول حضارية، وتؤرخ زمنيًّا بالفترة بين ٥,٠٠٠ و٣,٠٠٠ قبل الميلاد، وهذه الفصول هي: العبيد – الوركاء – جمدة نصر – مسيلم.

وهذه الحضارات الأربع ثبت وجودها في كل أنحاء العراق؛ شماله ووسطه وجنوبه، كما ثبت وجودها في الخليج العربي وفي منطقة شرق جزيرة العرب.

جذور سحيقة لحضارة الفراعنة

لم يكن المعروف من تاريخ مصر يرجع حتى سنة ١٨٩٥م إلى أقدم من عهد الملك سنفرو واي نحو ٢٦٠٠ قبل الميلاد. إلا أن عالم الآثار الإنجليزي بتري، وفي شتاء عام ١٨٩٥م؛ كشف بإحدى قرى صعيد مصر عن أول مواقع عصور ما قبل التاريخ في مصر. تلت ذلك مجموعة كبيرة من الاكتشافات التي تمت على أيدي علماء آثار مصريين وأجانب لمواقع متعددة من شتى مراحل عصور ما قبل التاريخ. واليوم يتفق علماء المصريات على أن الجانب الأكبر من مقومات الحضارة الفرعونية يضرب جذوره في الماضي السحيق لعصور ما قبل التاريخ.

وقد أثبتت الأبحاث أن مصر في العصر الحجري القديم كانت ذات مناخ حار ورطب، مما ساعد على انتشار الحيوانات والنباتات الكثيفة، وتلك هي البيئة النموذجية لإنسان الفجر الحجري؛ حيث عُثر على مخلفات هذا الإنسان من الأدوات الحجرية في عدة مواقع بمصر، وأهمها منطقة ببيان الملوك بالأقصر، وفي أبيدوس وإسنا والفيوم، وفي منطقة أم النور بالقرب من نجع حمادي، وفي منطقة الجبل الأحمر بالعباسية، وفي نجع أحمد الخليفة، وهو الموقع الوحيد الذي يعود إلى هذا العصر، وخضع للتنقيب العلمي الدقيق.

وقد تلت تلك المرحلة حضارة العصر الحجري القديم، وفيها تطور الإنسان وتطورت معه أدواته الحجرية، فقام بتقليل أحجامها وترقيق سمكها وتشذيب أطرافها، فجعلها حادة قاطعة غير متعرجة، وجعلها تشبه هيئة الشكل البيضاوي الكامل. وهناك تطور لاحق يتمثل في الأدوات المصنوعة من الشظايا الحجرية الرقيقة التي أعيد تهذيبها، وعُثر على نماذج منها في منطقة الشويخات بالقرب من قنا في صعيد مصر، حيث تقع معظم مواقع العصر الحجري القديم، والذي شغل الفترة من ٢١,٠٠٠ سنة إلى ١٢,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. بعد ذلك

كهف شانيدر بالعراق.

حدث الانقطاع الأساسي بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، فهي فترة غير معروفة جيدًا، تفصل بين امتداد العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث. وتمثل الفترة بين ١١,٠٠٠ و٨,٠٠٠ سنة قبل الميلاد فجوة واضحة في دليل النشاط البشري بوادي النيل لندرة بقايا تلك الفترة، ما لم تكن قد اختفت تمامًا تحت الرواسب الطينية. إلا أن مخلفات الوجود البشري تعود للظهور عند نهاية هذا الفاصل الزمني في وقت قلّت فيه كميات المطر، مما نتج عنه مجموعة من التغيرات المناخية أدت بالإنسان القديم إلى ترك مستوطناته القديمة واللجوء إلى الوادي، وكان ذلك هو أول تحرك آلي للعصر الحجري الحديث؛ حيث اتجه المصريون إلى تنويع الرزق والرقي بالصناعة الحجرية وابتداع صناعات أخرى مستحدثة. وظهرت لهم في هذا السبيل تسعة مجالات؛ هي استئناس الحيوان وتربيته، والاهتداء إلى زراعة الأرض والاستقرار بجانبها، وصقل الأدوات الحجرية والارتقاء بها، والاهتداء إلى صناعة الفخار، وتنويع أشكال وألوان الأواني، وبداية التمرس على عمل الحصير والسلال وغزل الكتان ونسجه، ومحاولة صنع الأواني الحجرية والاهتمام بأدوات الزينة، ووضوح الاهتمام بالمساكن وبداية الاهتمام بمدافن الموتى وقرابينهم.

ومن أشهر مواقع العصر الحجري الحديث في مصر منطقة الفيوم ومرمدة بني سويف وحلوان، وذلك في شمال البلاد بمصر السفلى، أما مصر العليا في الجنوب ففيها موقع البداري ودير تسا ومستجدة والهمامية والطارف.

أما العصر الحجري النحاسي فهو الذي بدأ عند أواسط الألف الخامس قبل الميلاد على وجه التقريب، وامتد حتى بداية عصور الأسرات في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد. وقد ظهرت آثار هذا العصر في منطقة البداري بأسيوط ومنطقة نقاذة والعمرة وما حولهما في قنا وسوهاج، ومنطقة أبي صير الملق، وجزيرة عند مدخل الفيوم، ومنطقة المعادي وطرة وعين شمس بالقرب من الدلتا.

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم وقف وحبس وسبل وابد العبد الفقير الى الله تعالى
حصن المسلمين ملجأ القاصدين ابو سعد سيف الدين ركن بن عبد الله الشافعي الملكي الناصري بعده الله تعالى الفضل العظيم
جميع هذه الربعة الشريفة وعدتها ثلثون جزءا على كافة المسلمين ينتفعون بذلك في القراءة والنقل
والمطالعة والدراسة وشرط الواقف للذكور ان هذه الربعة المذكورة لا تخرج من الذرية المذكورة ولا تعار ولا تخرج الا
للاصلاح وجعل النظر في ذلك لنفسه طول حياته ثم من بعده للذرية الارشد فالارشد وذريته ذرية فاذا انقرض
الذرية ولم يبق منهم احد يكون النظر للشيخ المقيم بالتربة المذكورة يجري الحال في ذلك كذلك ما ابقى الله الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدل ما شرطه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم وقع اجر هذا الواقف على الله عز وجل الذي لا يضيع اجر من احسن عملا وذلك سابع
من شهر جمادى الاخرة سنة ست وستين وسبعمائة